حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الدروب الإلهية وعلاقتها ببعضها البعض

١٤٣٨ هـ/٢٠١٧م

شيماء عادل رجب

المستخلص

تُعَدُّ الدروب الإلهية من أهم الأدوات الرئيسة في إتمام خلق العالم؛ لكونها الوسيط الأساسي في عملية الخلق، التي تقوم على ربط العالم العلوي بالعالم السفلي، من خلال دور ومكانة كل درب في نقل الفيض الإلهي من الدرب الذي يليه أو يسبقه، حيث يشير دور كل من الساق والفرع والجذر التي تتضمنها الشجرة الصوفية إلي التلاحم الوثيق بين الدروب، وإلى اتمام واكتمال عملية الفيض التي تقوم على أساسها عملية الخلق، وأيضًا تتوقف هذه العملية على منزلة كل درب من أعلى إلى أسفل، حيث يشغل العنصر الذكري الجانب الأيسر، والعنصر الأنثوي يشغله الجانب الأيمن، والوسط يمثل موضع التزاوج بين العنصر الذكري والأنثوي، حيث يحدد هذا التقابل والتشابه بين أعضاء الجسد البشري والدروب؛ مدى أهمية وارتباط كل درب من الدروب العليا بكل درب من الدروب السفلى في نقل الفيض الذي يعد مؤشرًا رئيسًا في اكتمال خلق العالم.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٨.

مقدمة:

تعتبر الدروب الإلهية العامل الرئيس في خلق العالم، فقد كانت الأداة التي استعان بها الرب في الخلق، الذي بدأ بالعالم الروحى وانتهى بالعالم المادي، وبين هذين العالمين كانت على الدروب أن تتصل ببعضها البعض؛ كي تتمكن من نقل الفيض الإلهي من درب إلى آخر، وعلى هذا سنناقش في هذه الدراسة ارتباط كل درب بالدرب الذي يليه في عملية خلق العالم، كما سنتناول التشبيهات الصوفية، والرموز المختلفة التي تعبر عن هذه الفكرة ودورها في اكتمال عملية الخلق الإلهية.

وبناء على ذلك فقد قسمنا هذا البحث إلى جزئين، يسبقهما مقدمة، نناقش فيها أهمية ارتباط الدروب ببعضها البعض في عملية الخلق، مع الإشارة إلى الرموز التي تعبر عن هذه الفكرة، ودورها في أداء واكتمال هذه العملية من حيث ارتباط كل درب بالدرب الذي يليه، أو يسبقه في المكان والترتيب في هذه العملية.

يتناول الجزء الأول:الشجرة الصوفية التي تشير إلى علاقة الدروب الإلهية.

ويتناول الجزء الثاني: مكان الدروب، وتسلسلها في عملية الخلق.

ويلي ماسبق خاتمة نتناول فيها النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، ثم المصادر والمراجع.

إن الهدف من هذه الدراسة، يتمثل في التعبير عن أهمية، ودور كل درب من حيث المكانة من خلال البحث في علاقتها ببعضها البعض، ودور كل درب، وأهميته لما يليه أو ما يسبقه، وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلى للنصوص القبالية، التي تتناول هذه الموضوعات.

أولاً: الشجرة الصوفية:

استعان مؤلف الباهير بالرموز الباطنية عند الإشارة إلى الدروب، فقام بالتعبير عنها مجازًا بما عُرف "بالشجرة الصوفية"، وذلك حسبما ورد في الفقرة التالية:

" قال راب راحومى، ما معنى وامتليء[١] بركة من الرب؟ أن هذه البركة[٢] تشير إلى اولئك الذين يحتاجون إليها، وماذا يشبه هذا الأمر؟ يشبه ملكًا أراد أن يبنى قصرًا بين المنحدرات الكبيرة، وبدأ في تقطيع الصخور، ونقش فى الصخور، وإذا به يخرج نبع عظيم هو" ماء الحياة"، فقال الملك بما أنني لدى مياه فائضة سأغرس شجرة وابتهج بها أنا والعالم بأسره،... وتقول التوراة:" منذ ألفي عام كنت في باطن الرب[٣]" [٤].

فلقد فسر سفر الباهير فقرة " وامتليء بركة من الرب" بأنها ترمز إلى شجرة الدروب الإلهية، التي غرسها الرب في حديقته، كي تقوم بإمداد العالم باحتياجاته من الفيض الإلهي، الذي يُعد مصدر الحياة والوجود.

كما استخدم سفر الزوهر، مصطلح "الشجرة الصوفية" بوصفها رمزًا للدروب الإلهية، حيث قال:

" لقد غرس الرب شجرة في العالم الآخر، تحتل مكانة سامية، هي التوراة، يرتبط بها كل شيء بالعالم، بناءًا على ماقام به الرب، فقد غرس شجرة في العالم العلوي، ثم غرس شجرة أخرى في العالم السفلي، وهي تتغذى على الفيض الذي يفيض من شجرة العالم العلوي، ويتحقق ذلك، حينما يحافظ أبناء العالم، وهم بنو إسرائيل، على شرائع التوراة"[٥]

ومن الفقرة السابقة يتضح لنا التالى:

١-تأثر مؤلف الزوهر بفكرة الشجرة الصوفية، التي أشار إليها الباهير.

٢-تبرز فكرة تأثير العالم العلوي، والذي رمز إليه بشجرة العالم الآخر، فيما يحل بالسلب أو بالإيجاب.

٣- تشير فكرة خلق الرب شجرة عليا كمثال أو نموذج لخلق شجرة سفلى في الدنيا، إلى أثر نظرية المُثل لدى أفلاطون، والتي تتمثل في أن الصانع أي الرب صنع العالم السفلى على غرار العالم العلوي، وعبر عنه بالنموذج الثابت الخالد، كما تشير فكرة خلق وبناء العوالم، إلى ارتباط العالم العلوى بما يحدث في العالم السفلي؛ لأنه حينما يلتزم الإنسان بما ورد بالتوراة ووصاياها، يؤدي إلى انسجام العالم الدنيوي، وينعكس هذا الانسجام على العالم العلوي، الذي يؤدي بدوره إلى ثبات أركان العالم وإرساء قواعده، ولكن حينما ينتهك الإنسان وصايا التوراة وشرائعها يحدث العكس، وينجم عنه خراب العالم ودماره(٦).

وفضلاً عن ذلك، فقد استخدم الزوهر في نص أخر مصطلح " شجرة الحياة " الذي أطلقه على العالم العلوي في مقابل مصطلح "شجرة المعرفة" الذي أطلقه على العالم السفلي، حيث ورد به:

"... وغرس الرب شجرة الحياه في الجنة،... وشجرة المعرفة حيث الخير والشر"(٧).

واعتمادًا على ماسبق، يمكننا القول أن مؤلف الزوهر قد حدد مكان شجرة الحياة في الجنة حيث العالم الروحي الطاهر والخير والبركات وأما" شجرة المعرفة" فمكانها في العالم السفلي، والذي يتمثل في العالم الدنيوي والمادي، حيث الخير والشر معًا.

وقد عبر كورديفرو عن هذه الشجرة من خلال الاتصال بين جذورها وفروعها، وهو بذلك رمز إلى علاقة الرب بالدروب حيث تقوم الفروع؛ أي الدروب بمقام قوى الرب، لإتمام عملية الفيض بالتسلسل، حيث قال:

"لقد التصق الجذر بالفرع عند تسلسل العوالم هذا من ذاك فمنح درب الحكمة القوة لدرب الفهم من خلال الفيض، ويتدرج الفيض من الفهم إلى درب الجمال، ومنه إلى درب الملكوت حتى يوجد عالم الخلق"(٨).

وعلى ضوء ما سبق يتضح أن الاستخدام الصوفي والرمزي فيما يتعلق بفكرة "الشجرة الصوفية" في القبالاة، يعد انعكاسًا وتفاعلاً بين الجذر وهو الرب، والفروع أي الدروب لإتمام عملية الفيض الإلهي في العالم، كما أن تصوير الدروب بالشجرة التي يكمل كل منها الآخر من الجذر إلى الساق إلى الفرع، إلى الورقة، ولا يستقيم وجود أي منهما أو ضمان حياته وبقائه إلا بوجود الآخر، يشير إلى العلاقة القوية التي تربط الدروب ببعضها البعض، فضلاً عن أن وجود أي درب يتوقف على وجود الأخر، وبالتالي فإنهما يمدوا بعضهم البعض بالحياة.

<u>ثانياً: مكان الدروب:</u>

ميز سفر الباهير بين الكلمات العشرة فى المنزلة، حيث فصل بين الدروب الثلاثة الأولى، والدروب السبعة المتبقية في المكانة، حيث أشار قائلاً:

"حتى لايقال أن هناك عشرة أقوال عن عشرة ملائكة، قد لا يمكن أن نتحدث عن كل منهم من خلال واحدة، والتي شملت العشرة – ماهي الملائكة العشرة ؟ هي الكلمات الثلاثة، والأصوات السبعة"(٩).

ومن الواضح أن الفقرة السابقة، تقصد بمصطلح الكلمات العشر الملائكة العشرة، والتي تنقسم إلى مجموعتين من حيث المكان"من أعلى إلى أسفل" : أولها الكلمات الثلاثة العليا، والثانية: الكلمات السبعة السفلية التي مُنِحت بها التوراة (١٠).

وفضلاً عن الكلمات العشر التي أشار إليها نص الباهير بالفقرة سالفة الذكر فقد وضع تفسيرًا رمزيًا، لتحديد الصورة المكانية لها، حيث رأى أنها تتخذ شكل أعضاء الجسم البشرى، أو صورة آدم "من الرأس وإلى أسفل" فيشير قائلاً:

"لماذا يطلق عليها الثامنة؟ لأنها تكون البداية، وبها يكتمل العدد، لكن من حيث الفعل تعد السابع، ولماذا يدخل الطفل ابن الثمانية عهد الختان؟ والثمانية ليس إلا سبعة، فلماذا يقول الرب ثمانية؟ لأن الجسد البشرى يشتمل على ثمانية أعضاء، وماهي؟ الرأس، واليدان اليمنى واليسرى، والساقان اليمنى واليسرى، والجسد، وعهد الختان وزوجه"(١١).

ومن الجدير بالذكر، أن سفر الباهير استخدم التشبيهات الرمزية عند الإشارة إلى الدروب، حيث قابل كل درب بعضو من أعضاء الإنسان، والتي حدد وضعها المكاني على النحو التالي:

يقابل الدروب الثلاثة الأولى الرأس في جسم الإنسان، ومن الواضح أنه حدد هذا المقابل بناء على أن الرأس تحتوي على العقل وهو مصدر الحكمة والفهم، وبالتالي يتفق هذا التشبيه مع هذا الدرب، والدرب الرابع والخامس يقابلهما اليد اليمنى واليسرى، والدرب السادس يقابله الجسم المادي، والدرب السابع، والثامن يقابلهما الساقان اليمنى واليسرى، والدرب التاسع والعاشر يقابلهما عورة الذكر والأنثى.

وهنا ميز الباهير بين الدروب الثلاثة الأولى حيث جعل مركزها الرأس، مما يشير إلى الروحانية، في حين إن الدروب السبعة الأخرى تقابل جميعها أعضاء مادية محسوسة، مما يدل على الفارق الكبير بينها.

وعلى غرار سفر الباهير، حدد سفر الزوهر أماكن الدروب وما يقابلها فى أعضاء الجسم البشرى، حيث ورد:

"إن العقل يرمز إلى درب الحكمة، أما القلب يشير إلى درب الفهم، واليد اليمنى تشير إلى درب القوة، واليد اليسرى ترمز إلى درب الإحسان، والفخذين يشيرا إلى دربي الأبدية والمجد، وعهد الختان "الذكر" يشير إلى درب الأساس، وفي النهاية عهد الختان "الأنثى" يشير إلى درب الملكوت الذي يتلقى حكمة التوراة، والتي تصب بدورها في العالم، على اعتبار أنها تمثل التوراة الشفوية"(١٢).

ومن الملاحظ أن سفر الباهير وسفر الزوهر قد جعلا الحكمة مقابلاً للعقل بصفة خاصة أو الرأس بصفة عامة، وهذا يشير إلى دلالة درب الحكمة ودورها في الخلق، إضافة إلى خلوها من المادية، ويرى شوليم أن سفر الباهير تأثر في هذا الرأي بما ورد في العهد القديم فيما يتعلق بخلق الهيكل البشري، وأعضاؤه في صورة مصغرة من الرب، حيث اعتبر الدروب قوى للرب، ونموذجًا لحياة الإلوهية، تحمل معنى رمزي وتخيلي لأعضاء الإنسان أما ترتيبها من أعلى إلى أسفل، كان وفقًا لاعتماده عليها فى أفعاله(١٣)

وقد أجرى كورديفرو نوع من المقابلة بين الدروب الإلهية وبين أعضاء الجسم البشري، وحاول أن يحدد مكانها فيه فقال:

"أن الزواج بين درب الحكمة، ودرب الفهم، تم من خلال وسيط، هو درب المعرفة أو الجمال، ويقابل هذا الوسيط عهد الختان بين آدم وزوجته، وذلك وفقًا لتفسير فقرة سفر التكوين التالية: "وعرف أدم حواء إمرأته(١٤)" (١٥).

وجدير بالذكر أن، الفقرة السابقة تعبر عن مضمون فكرة الزواج بين الدروب وخاصة درب الحكمة، ودرب الفهم، من خلال وسيط يتمثل في درب المعرفه أو الجمال،

وذاته المعنى الصوفي المقابل للزواج بين أعضاء الجسد البشري، المتمثل في الذكر والأنثى.

ويتضح لنا من العرض السابق:

أ-إن معظم القبالين حاولوا تحديد أماكن الدروب اعتمادًا على ما يقابلها من أعضاء الجسم البشري، وربما يرجع ذلك بسبب تأثرهم بالفكرة الفلسفية التي شاعت في اليهودية، وهي أن الإنسان عالم صغير في مقابل العالم الكبير، وهو عالم الخلق، أو ربما إنهم لجأوا إلى تحديد أماكن الدروب من خلال مقابلتها لأعضاء جسم الإنسان بغرض توضيح مغزى الدروب للعامة.

ب- من الملاحظ أن وضع الدروب من حيث المكان، ينقسم إلى ثلاثة أماكن وهي: اليمين ويمثله العنصر الذكري، والوسط، واليسار هو العنصر الأنثوي.

ج- إن الدروب الثلاثة العليا يقابلها الرأس، الذي يتمثل في العقل، وفقًا للتصوير المجازي والرمزي للعقل البشري، أما الدروب السبعة السفلية، فهي تتقابل مع أعضاء الجسم التي تقع أسفل الرأس.

الخاتمة

-استخدام التشبيه الصوفي والمجازي المتمثل في " الشجرة الصوفية" للدروب في الفكر القبالي، يشير إلى الدور الوظيفي لكل من الساق والفرع والجذر التي يتكون منها أجزاء الشجرة في اكتمال عملية الخلق الإلهية التي تقوم على الارتباط الوثيق بين الدروب، حيث أن وجود وبقاء كل درب يتوقف على وجود الدرب الذي يليه أو يسبقه في هذه العملية.

-تعبر فكرة تقسيم الدروب إلى مجموعتين من حيث المكان من أعلى إلى أسفل، بناء على التشبيه الرمزي لها، والذي حدد وقابل كل درب بعضو من أعضاء الإنسان، مع وضع في الاعتبار أن العنصر الذكري يحتل الجانب الأيسر، والعنصر الأنثوي يحتل اليمين، والوسط يمثل موضع الزواج بين العنصر الذكر والأنثوي، بغرض الوصول إلى المغزى من هذا التقسيم، والذي يتمثل في ارتباط وتفاعل كل درب من الدروب العليا بكل درب من الدروب السفلى من حيث المكان في أداء، واكتمال عملية الخلق.

- إن فكرة مقابلة الدروب الإلهية بأعضاء الجسم البشرى تدل على مدى ارتباط هذه الدروب ببعضها البعض وعلاقتها الوثيقة، فكما أن الجسم لا يستطيع أن يحيا دون عضو من أعضائه كذلك الدروب لا تستطيع أن تحيا وتكمل دورها الوظيفي في عملية الخلق في حالة إذا ما انفصل درب عنها، وبالتالي فعلاقة الدروب علاقة تكاملية.

Abstract

Divine paths and their relationship to each other

By Shimaa Adel Ragab

The divine paths are one of the most important tools in completing the creation of the world because they are the main intermediary in the process of creation, which is based on connecting the upper world to the underworld through the role and position of each path in transmitting the divine flow from the path that follows or precedes it. The stem, branch and root of the Sufi tree are linked to the close bond between the paths and to the completion and completion of the flow process on which the creation process is based. This process also depends on the status of each trail from top to bottom. The male element occupies the left side and the female element is occupied by the right side , And the center represents the location of the glaze between the male and female element, determines where this juxtaposition and similarities between the members of the human body and paths; how important and link to each of the upper trail paths with all the trail of Lower Routes in the transfer of the flood, which is a key indicator in the completion of the creation of the world.

الهوامش

١- الدروب الإلهية: يشير مصطلح الدروب الإلهية إلى الدروب العشرة، وهي :التاج، والحكمة، والفهم، والإحسان، والعقاب، والجمال، والأبدية، والمجد، والأساس، والشخيناه، وينحصر دورها في كونها أداة الرب، التي تقوم بأفعاله، وترسل فيوضاته في عملية الخلق، بوصفها الحلقة الوسيطة بين العالم العلوي والروحي، متمثل في الرب، والعالم السفلي والمادي، متمثل في العالم الدنيوي وما يشتمل عليه من مخلوقات مادية. انظر: פרדיס רמונים،שער ד،פרק ו.

٢- تثنية ٢٣:٣٣

٣-وعلى ما يبدو أن هذه البركة هي درب الحكمة "الدرب الثاني" التي تمد باقي الدروب بالبركات؛ لذا طابق مؤلف الباهير بينها وبين ماء الحياة التي تروي جميع فروع الشجرة بالحياة، وهى أيضًا التوراة التي تُعَدُّ أصلاً وجذرًا لكل مخلوقات العالم. انظر: שלום (גרשום)، ראשית הקבלה וספר הבהיר،בית ההוצאה של הסתדרות – הסטודנטים של האוניברסיטה העברית، ירושלים،1962،עמ' 295.

٤- مزامير ٩٠:٤.

٥-ספר הבהיר، סימן ה. للمزيد : انظر: علي، سفر الخليقة دراسة في الشكل، صـــ٣٢٧.

http://www.hebrew.grimoar.cz/anonym/sefer_ha-bahir.htm,accessed on 14 April 2017

٦- זוהר ח"ג רלט ע"א-ע"ב.

http://www.hebrew.grimoar.cz/zohar/zohar_vilno_3.htm,accesed on 14 April 2017.

٧- انظر: أفلاطون، من مجموع المحاورات الكاملة، ص٤٤٨-٤٥٤

http://www.books4arab.com/2015/01/pdf html_35.

النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون، ص٢٢٩، متولي (حنان كامل)، الاتجاهات العنصرية في سفر الزوهر، كلية الآداب، جامعة عين شمس،القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٩.

٨- זוהר ח"א לה ע"ב.

http://www.hebrew.grimoar.cz/zohar/zohar_vilno_1.htm,accessed on 14 April 2017.

٩-פירוש רמ"ק לספר יצירה، פרק ראשון،סימן א.

http://www.hebrew.grimoar.cz/jecira/ramak_jecira.htm,accessed on 14 April 2017.

١٠ספר הבהיר،סימן מח.

١١שלום (גרשום)، ראשית הקבלה וספר הבהיר،עמ' 305.

١٢–ספר הבהיר،סימן קסח.

١٣ –תיקוני זוהר،הקדמה שניה.

https://he.wikisource.org/wiki/%D7%AA%D7%99%D7%A7%D7%95%D7%A0%D7%99_%D7%96%D7%94%D7%A8_%D7%99%D7%96_%D7%90, accesed on 15 April 2017.

١٤- Scholem, Majore trends in Jewish Mysticism ,p.211.

١٥سفر التكوين ١:٤.

١٦פרדיס רמונים، שער ג ، פרק ח.

http://www.hebrew.grimoar.cz/kordovero/pardes_rimonim.htm
, accessed on 14 April on 2017.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

١- علي (إبراهيم محمد فريد)، كتاب الخليقة–دراسة في الشكل والمضمون، رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراة غير منشورة،،٢٠٠٣م

٢- أفلاطون، طيماوس من مجموعة المحاورات الكاملة، المجلد الأول، نقلها إلى العربية شوقي داوود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٤.

٣- الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد، دار الكتاب المقدس، القاهرة، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤- متولي(حنان كامل)، الاتجاهات العنصرية في سفر الزوهر، كلية الأداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٩.

٥- النشار (مصطفى حسن)، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مكتبة مدبولي،الطبعة الثانية، القاهرة،١٩٨٨.

ثانيًا: المصادر والمراجع باللغة العبرية:

––ספר הבהיר، מהדרת מרגליות، ספרים אשכול،עירה קודש، ירושלים.

––פירוש רמ"ק לספר יצירה.

http://www.hebrew.grimoar.cz/jecira/ramak_jecira.htm

זוהר ח"א.

http://www.hebrew.grimoar.cz/zohar/zohar_vilno_1.htm

–זוהר ח"ב.

http://www.hebrew.grimoar.cz/zohar/zohar_vilno_2.htm

–זוהר ח"ג.

http://www.hebrew.grimoar.cz/zohar/zohar_vilno_3.htm

–קורדיברו (משה)، פרדיס רמונים.

http://www.hebrew.grimoar.cz/kordovero/pardes_rimonim.htm

תיקוני זוהר،הקדמה שניה.

https://he.wikisource.org/wiki/%D7%AA%D7%99%D7%A7%D7%95%D7%A0%D7%99_%D7%96%D7%94%D7%A8_%D7%99%D7%96_%D7%90,

–שלום (גרשום)، ראשית הקבלה וספר הבהיר،בית ההוצאה של הסתדרות – הסטודנטים של האוניברסיטה העברית، ירושלים،1962

ثالثًا: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

Scholem(Gershom), Majore Trends in Jewish Mysticism,Schoken Publishing House Jerusalem,1941.